مقدمة الناشر

يوم قمنا بطبع كتاب «سير أعلام النبلاء» قبل ما يزيد عن خمسة وعشرين عاماً لم نكن ندرك قيمة الكتاب، غير أنه أحد الكتب الكثيرة التي تتكلم عن التاريخ. ولقد تجلت حقيقته يوم صدر بكامل أجزائه ليتصدر الكتب ويكون موسوعة بذاته، ليس انطلاقاً من أن الكتاب هو مصدر في علم الرجال فقط، وإنما هو أساس لمدرسة التحقيق وفق فريق عمل وجهد جماعي.

لقد كان الكتاب حقًّا عمدة الكتب باختصاصه وفنه، ولا تجد مكتبةً إلا وهو تاجها أو هو الجوهرة التي ترصع التاج.

لقد كان الإمام الذهبي ـ رحمه الله وأدخله فسيح جناته ـ دمشقي المولد والنشأة، فآثرنا أن نحفظ هذا الأثر ونتشرف بالاهتمام بمآثر هذا الإمام العظيم ليكون شامة في أرض الشام، وشامة على وجه التاريخ، بل ليكون مبعثاً للشآم من جديد.

نعم، إن نشرنا لهذا السِّفر العظيم هو واحدة من الجهود التي تبذل للكشف عن كنوز دمشق من الدمشقيين وآثارهم، وهو خطوة نحو إضاءة دمشق بكواكبها وأقمارها.

وكنا قد أصدرنا الكتاب في ثلاثة وعشرين مجلداً، ثم أتبعناه بمجلدين فهارس، فأصبح في خمسة وعشرين مجلداً.

لقد كان اهتمامنا ابتداءاً هو إصدار الكتاب بخصوصية فنه، ولكن وجدنا لاحقاً ضرورة إضافة ما طلب وأشار إليه الإمام الذهبي في أول مخطوطة «سير أعلام النبلاء» وهو نقل السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين من كتابه القيم الذي هو أصل «السير» وهو «تاريخ الإسلام»، وكان ذلك وتلقى هذا العمل بفضل الله تعالى ترحيب كثير من العلماء وطلبة العلم، وأصبحت مجلدات هذه التحفة ثمانية وعشرين مجلداً.

إن مسيرة الرعاية والاهتمام لكتاب مؤرخ الشام لم تكن بدأت لكي تنتهي.

فلقد بارك الله في هذا الكتاب، فكان الإمام الذهبي في تأليفه له أشبه بالوضع، حيث إنه اكتسب مرونة التوسع من كل طرف من أطراف التاريخ، فكان مورداً للعلماء من بعده، فكأنه البناء الشاهق الذي يرتجى به بلوغ أسباب السماء.

ونأتي اليوم لنضيف ما يُكمِّل مسيرة الهجرة لنرتحل مع التاريخ فندرك أولئك الأعلام الذين كادت مسيرة الهجرة ترتحل دونهم. ونكون بهذين المجلدين اللذين أضفناهما من «تاريخ الإسلام» قد استكملنا تراجم من توفي بين (٦٦١ ـ ٧٠٠هـ)، وهذه التراجم تشكل الجزء المفقود من «السير» إن شاء الله، وبهذه الإضافة يكون كتاب «سير أعلام النبلاء» قد انتهى في ثلاثين مجلداً. وسيجد أهل العلم في ما وصلنا إليه أنه مبلغ القصد وغاية الرصد وبقلم عدل ما زاغ عن يراع الإمام بإذنه تعالى.

وسيلقى هذا العمل الترحيب من العلماء وطلبة العلم بإذن الله، ولن يكتمل دون أو يلحظ عليه بعضهم، وإنما نحن بشر، يكفينا أننا اجتهدنا، والله من وراء القصد.

ويستمر العمل ويتصل الليل بالنهار وسيكون في قادمات الأيام أعمال كثيرة تتصف بالموسوعية، بحيث تضيء تحف لفائفها جل أعمال الإمام الذهبي أسكنه الله فسيح جنانه.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتوجه إلى الله عز وجل راجياً منه أن يتقبل عملي هذا، ويبلغ به مقصدي، وأن يكون في ميزان حسناتي، وأن يغفر السيء من عملي، وأن يستعملني في خدمة دينه، وأن يذلل لهذا الكتاب الطريق لينتشر في أرجاء المعمورة، ويكون محل فائدة وخير ودعاء صالح في ظهر الغيب، وصدقة جارية إلى يوم الدين.

مروان دعبول

مقدمة تتمة «سير أعلام النبلاء»

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد، فلا يخفى ما للتاريخ من أهمية في الإسلام، فبه نعرف عراقة ومجد هذه الأمة، ونعرف حال سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى، فهي كالسلسلة الواحدة المترابطة لا ينفك عنها جزء بحال من الأحوال، وبالتاريخ والسير تزداد البصيرة بالأمور، والمعرفة بأحوال الأمم السابقة، وإن من أمهات كتب التاريخ والتراجم وأهمها كتاب «تاريخ الإسلام» وكذا «سير أعلام النبلاء» وكلاهما للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله، وهما من الكتب التي تقوم عليها المكتبة التاريخية العربية، وحسبنا أن مصنِّف هذين السِّفْرين العظيمين إمام محدث مؤرخ تسلَّح بالمعرفة والإتقان والدقة.

ولقد تعددت مناهج المؤرخين في التصنيف، فمنهم من أرَّخ من بدء الخليقة إلى عصره، معتمداً في ذلك على كتب الأمم السالفة، ومنهم من أرَّخ من السنة الأولى من الهجرة إلى آخر حياته، ومنهم من أرَّخ فترة معينة من تاريخ المسلمين، فمنحها جلَّ اهتمامه، وأفرغ فيها كل طاقته وأحاسن جهوده.

«وإذا كان العرب في جاهليتهم لم يهتموا بتأريخ تاريخهم، أو التصنيف للأعلام منهم، فإن الأمة الإسلامية ـ وهي تعلم أنها خير أمة

أخرجت للناس ـ وجدت أن هذا العلم لا ينبغي أن يحمله إلّا العدول، فكان عليها أن تصنف فيما يقع من أحداث للمسلمين على مرّ السنين، وأن تذكر أحوال الأعلام من محدثين وفقهاء وأصوليين ولغويين وشعراء وأمراء، وحكام وغيرهم، ومن هنا نشأ التاريخ، وتاريخ الرجال.

أما التصنيف في التاريخ فيذكر ما وقع من أحداث مرتبة في الغالب على السنين بأن يذكر المصنِّف السنة كأن يقول: ذكر ما وقع في السنة الأولى . . . أو الثانية . . . إلخ، وهذا هو نهج غالب المصنفين في التاريخ، ويذكرون في آخر كل سنة من السنين تراجم من تُوفي في تلك السنة، أو تاريخ كل دولة من الدول متصل الأحداث منذ قيامها حتى سقوطها، وهو ما سلكه ابن خلدون في «تاريخه».

والطريقة الأولى في التصنيف هي الطريقة الشائعة في مصنفات التواريخ، وهي التي يميل إليها المحدثون، إذ تناسب طبيعتهم؛ لأنهم اعتادوا تقسيم الرجال إلى طبقات: طبقة الصحابة، طبقة التابعين، طبقة أتباع التابعين، وهكذا، وهو ما يجدونه في الحديث الشريف من تقسيم الناس إلى طبقات في قوله ﷺ: **«خيرُ الناسِ قَرْني، ثمَّ الذين يَلُونَهم، ثمَّ الذين يَلُونَهم. . .»**(1).

ويعيب هذه الطريقة في التصنيف أنها تُفرِّقُ بين الأحداث، وتصعِّب متابعة تسلسل الأحداث، وتتميز هذه الطريقة بذكر أحداث ووقائع كثيرة جانبية مما لا علاقة لها بالتاريخ السياسي، إلا أنها تفيد الباحث، كما تذكر فيها تراجم الأعلام.

وعكس هذا الكلام يقال في مميزات وعيوب الطريقة الثانية في التصنيف في التاريخ.

---

(1) أخرجه البخاري: ٢٦٥٢، ومسلم: ٦٤٧١، وأحمد: ٤١٣٠ من حديث ابن مسعود.

كتب الذهبي في التاريخ وتاريخ الرجال:

وللحافظ الذهبي كتب عدة في التاريخ وتاريخ الرجال، أبرزها:

١ ـ تاريخ الإسلام.

٢ ـ العبر في خبر من غبر.

٣ ـ دول الإسلام.

٤ ـ سير أعلام النبلاء.

٥ ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.

٦ ـ تذكرة الحفاظ.

٧ ـ المعين في طبقات المحدثين.

٨ ـ طبقات الشيوخ.

والمطالع للوهلة الأولى ربما تبدَّى له تكرار في موضوع هذه التصانيف، لكن الاختلاف بينها واضح، فـ«معرفة القراء الكبار» في تراجم أكابر القراء، في حين يترجم كتاب «تذكرة الحفاظ» لأكابر المحدثين وهم الذين يحملون لقب (حافظ)، وهو من حفظ مئة ألف حديث رواية ودراية، أما «المعين» فهو في المحدثين عامة، و«طبقات الشيوخ» في شيوخ الذهبي خاصة(١).

وأما «**تاريخ الإسلام**» فقد أورد فيه جميع المشاهير والأعلام، ولم يورد المغمورين والمجهولين، بعُرف أهل الفن في كل عصر، لا بعرفنا نحن، إذ لا ريبَ في أنَّ هناك آلافاً من التراجم التي ذكرها لم يسمع بها كثير من المتخصصين في عصرنا.

وأما «**سير أعلام النبلاء**» فإنه اقتصر فيه على ذكر الأعلام، وأسقط المشهورين، وقد استعمل الذهبي لفظ الأعلام ليدلَّ على المشهورين جدًّا بعرفه هو لا بعرف غيره، ذلك أن مفهوم (العَلَم) يختلف عند مؤلِّف

(١) المرجع السابق.

وينبغي التنبيه في هذا المقام إلى الاختلاف بين علم التاريخ وبين علم تاريخ الرجال، فعلم التاريخ يقوم على ذكر الحوادث والوقائع لدولة أو لدول، أو لأمة أو لأمم، ولهذا العلم أصول هي أصول التاريخ، وهي التي أراد التصنيف فيها العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى في مقدمة تاريخه، فكانت المقدمة الجليلة الموسومة بـ«مقدمة ابن خلدون»، إلا أن الرجل قد وقع في خَلْطٍ بين عِلْمَي أصول التاريخ وعلم الاجتماع، وهو معذور إذ طبيعة التصنيف في أي علم ناشئ ألّا يسلم من الدخيل عليه، لعدم اتضاح الرؤية الكاملة في نشأة العلم، لأبعاد قضاياه وحدود ما يتناوله من مسائل.

أما علم تاريخ الرجال، فعلم يدرس حياة الرجل من مولده إلى وفاته، وما تخلَّلَ ذلك من نشأة، ورحلة، وشيوخ، وتلاميذ ونحو ذلك، وهو المراد عند إطلاق المحدثين للتاريخ، وهو ما أراده جبل الحفظ وإمام الدنيا أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري بكتابَيْه «التاريخ الكبير» و«التاريخ الصغير»، فقد أراد بالتاريخ تاريخ الرجال فحسب.

وهناك فرق أيضاً بين علم تاريخ الرجال وبين علم الجرح والتعديل، إذ الأخير يختص بحال الرجل من حيث العدالةُ والضبط والتوثيق والتجريح كما هو الحال في «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي، و«المجروحين» لابن حبان، و«الثقات» له، و«الضعفاء الكبير» للعقيلي . . . إلى غير ذلك، ويجمع المصنفون أحياناً بين العِلمين في كثير من التصانيف، كما يجمع المصنفون في غالب كتب التاريخ بين التاريخين»[1].

---

(١) من تقديم الأستاذ محمد السعيد بن بسيوني زغلول لكتاب «العبر».

وآخر، استناداً إلى عمق ثقافته، ونظرته إلى البراعة في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو أي شيء آخر[١].

وقد جعل الذهبي كتابه «سير أعلام النبلاء» في أربعة عشر مجلداً، راعى فيها التناسُق من حيث عدد الأوراق، ولم يُراع في الأغلب ناحية تنظيمية أخرى، وقد أفرد الذهبي المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية الشريفة وسير الخلفاء الراشدين، لكنه لم يُعد صياغتهما، وإنما أحال على كتابه العظيم «تاريخ الإسلام» ليؤخذا منه ويُضمّا إلى «السِّيَر».

ومن المعلوم أن الذهبي ألف «سير أعلام النبلاء» بعد تأليف «تاريخ الإسلام» وتابع فيه النطاق الزمني للكتاب المذكور، والذي نعرفه أن «تاريخ الإسلام» يمتد من أول الهجرة النبوية إلى آخر سنة (٧٠٠هـ)، والمتأمل لتراجم الطبقة الخامسة والثلاثين من «السير» ـ وهي آخر المجلد الثالث عشر ـ يجد أن أصحابها توفوا في المدة المحصورة بين السنوات (٦٥١ ـ ٦٦٠هـ)، فأين هي تراجم من توفي بين (٦٦١ ـ ٧٠٠هـ)؟ وهي مدة طويلة عاصر المؤلف كثيراً من أحداثها، واتصل بالعديد من المترجمين فيها، وكان الكثير منهم شيوخه، والباقون من شيوخ شيوخه، وفيهم أعلام الدنيا، بحيث لا يُعقل أن يتركهم الذهبي ولا يُترجم لهم، وقد ترجم في كتابه هذا لمن هم أدنى منهم بكثير، فهذه المدة المذكورة البالغة قرابة الأربعين سنة تحتملُ من غير شكٍّ أن تكوِّن المجلد الرابع عشر من «السير»[٢].

وانطلاقاً من هذا المبدأ، فإن عملنا في «تتمة السير» كان مشتملاً على تراجم من توفي بين (٦٦١ ـ ٧٠٠هـ) وهذه التراجم كلها مأخوذة من «تاريخ الإسلام» ـ أصل «السير» ـ وهذه التراجم تشكل ـ في الغالب ـ الجزء المفقود من «السير»، والله تعالى أعلم.

---

(١) مقدمة «السير» للأستاذ الدكتور بشار عواد: (١/١٠٩ ـ ١١٠).

(٢) المصدر السابق: (١/٩٣ ـ ٩٥) بتصرف يسير.

منهجنا في إخراج «تتمة السير»:

١ ـ اعتمدنا مطبوعة الدكتور بشار عواد معروف لـ«تاريخ الإسلام»، وقد امتازت هذه المطبوعة بتحقيقها على نسخة خطية مكتوبة بخط المصنف، محفوظة بمكتبة أيا صوفيا بإستانبول، إلا أن هذه النسخة غير كاملة، فقد وصل إليه منها عشر مجلدات فقط، من أصل واحد وعشرين مجلداً، وهناك نسخ أخرى من إستانبول، وبغداد، ودمشق، وحلب، والرياض، والقاهرة، والرباط، وباريس، ولندن، وأكسفورد، وكيمبرج، وليدن، وكيتا، وتونس.

كما استأنسنا بمطبوعة الدكتور محمد عبد السلام تدمري الذي اعتمد في تحقيقها نسخة أيا صوفيا، ونسخة حيدر آباد، ونسخة الأمير عبد الله الفيصل المنقولة عن نسخة دار الكتب المصرية.

٢ ـ حذفنا الحوادث التي ذكرها الذهبي عند بداية كل طبقة، وأبقينا على التراجم فقط، ليتماشى الكتاب مع منهج «السير».

٣ ـ أبقينا ترتيب الطبقات كما هو في «تاريخ الإسلام» وتبدأ هذه الطبقات بالطبقة السابعة والستين، التي تبتدئ وفياتها من سنة (٦٦١هـ)، وتنتهي بالطبقة السبعين، التي تنتهي وفياتها سنة (٧٠٠هـ).

ولما كانت آخر طبقة في «السير»، هي الطبقة الخامسة والثلاثون، فإننا ـ لأجل تسلسل طبقات «السير» ـ وضعنا بين معكوفتين تسلسلها، يعني: الطبقة السابعة والستون ـ مثلاً ـ جعلنا فوقها بين معكوفتين: الطبقة السادسة والثلاثون، وهكذا بقية الطبقات.

٤ ـ عزونا الآيات القرآنية إلى سورها من المصحف المطبوع بالرسم العثماني.

٥ ـ خرجنا الأحاديث التي أوردها المصنف في الكتاب.

٦ ـ ذكرنا المصادر التي عُنِيتْ بأخبار المترجَم، سواءٌ منها التي

تقدَّمت عصر المؤلف، أو جاءت بعده، متوخِّين في ذلك الاقتصار على أهم تلك المصادر والمشهور منها قدر المستطاع.

٧ ـ ضبطنا ما يشكل من الألفاظ، وبخاصة الأسماء والكُنى، والألقاب والأنساب، والمواضع والبلدان.

هذا ما وفقنا الله تعالى إليه في إخراج هذه التتمة لـ«سير أعلام النبلاء» المستلة من «تاريخ الإسلام» للإمام الذهبي رحمه الله، والله من وراء القصد، وهو ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

عزالدين ضُلِّي

دمشق الشام